

التفريط في الأعمال الصالحة

الشيخ/ يوسف بن حسن الخلاوي

حفظه الله

التفريط في الأعمال الصالحة

مقدمه

الله سبحانه يكرمنا بين زمن وزمن آخر بأزمنة متفاضله وربما يكرمنا باجتماع هذا الزمان الفاضل في المكان الفاضل وكما يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في الفوائد لما تحدث عن أن الإنسان يجب أن تكون له همة عالية ويجب عليه ان يغتنم الفرص ويغتنم الخير. ويحضرني قول أحد التابعين وهو خالد بن معدان رحمة الله ورواه ابو دغيم في الحلية بقول " إذا فتح لأحدكم باب خير فليسارع اليه فانه لا يدري، متى يمسك الله روحه إذا نام ومتى يرسلها في الدنيا الى أجل مسمى فلذلك لا يدان نتحدث عن موضوع مهم.. والناظر في حياة الانسان المسلم عن هذه الدنيا يجب ان نشبه بالمسافر المنطلق إلى ربع عز وجل هذا المسافر ايام عمره هي مراح هذا السفر وهذا المسافر لا بد ان يعتبر به الكثير من المشقات والكثير من العوائق والكثير من المصاعب التي تفوق الانسان دون وصوله الى الله عز وجل.

انواع العوائق التي تعوق الانسان عند سيره الى الله عز وجل: -

١- عوائق خارجيه

٢- عوائق داخلية

العوائق الخارجية: - وهي التي تحدث نتيجة عيش الانسان في هذا المجتمع الذي فيه الكثير من المفساد والكثير من البعد عن الله فاذا خالط الانسان هذا المجتمع يجد الكثير من الصعاب التي تحول دون انطلاق الانطلاق القوي، اثناء سيره الى الله عز وجل.

عوائق داخلية: وهي التي تحدث في نفس الانسان مع اهله في المجتمع المسلم وفي نفس كل واحد منها عوائق وتنقسم الى نوعين خطيرين.

(أ) وهو ما يشبه مرض السرطان: - يأتي ويصيب الأنسان في داخله ولا يجد صاحب هذا المرض أثره إلا بعد أن يشارف على الهلاك والموت تعامله تجد جسده سليم ولا يدل على أن به أي مرض بينما المرض ينخر جسده من الداخل حتى تأتي هذه اللحظة التي يؤذن الله للإنسان بالهلاك فيسقط صريعاً. ومن هذه الأمراض التي تصيب الأنسان من الداخل أمراض العجب والكبر والغرور والرياء وغيرها من الأمراض التي تتمكن من قلب الإنسان ويزداد تمكنها منه يوماً بعد يوم حتى يسقط صريعاً بها إن لم يكن يتداركه الله برحمة منه وأخوة خير ينصحوه ويبينون له هذا الهلاك الذي يوشك أن يهلكه.

(ب) النوع الثاني: - وهو يكون مرضاً داخلياً ويفتك بجسد الانسان بالتدريج وتمر الأيام والأيام على قلب الأنسان وهذا المرض يتمكن منه في كل يوم يأتي عليه ويتمكن منه المرض أكثر يعني كل يوم يمر يكون تمكن المرض من هذا الأنسان يكون أشد بكثير من اليوم السابق وهذا أشبه بمرض نقص المناعة المكتسب لذاته ليس جراثيم تصيب الانسان وتفتك به وإنما ينقص مناعته وهذا المرض هو سبب كل الأمراض وأساس هذا المرض هو التفريط في الأعمال الصالحة. فيقصر تدريجياً فتضعف مناعته ضد الأمراض الخارجية التي تفوق سيره إلى الله عز وجل.

أقسام مرض التقصير في الأعمال الصالحة: -

١- يكون الإنسان مقصراً في الأعمال الصالحة أو يكون مقبلاً على الأعمال الصالحة ثم يحدث منه تراخي تدريجي ويشعر بهذا التراخي وهذا التأثير. وهذا هو النوع الأول وهو أخف فيشعر الإنسان بهذا المرض ويحاول علاجه ولكن ينبغي أن يتأمل في نفسه من أين أتاه هذا المرض وكيف دخل قلبه حتى يمكنه من أن يخرج ويستخرج المادة الفاسدة

٢- ألا يعترف الإنسان بهذا: - يعني يكون مصاباً بهذا المرض من حيث لا يشعر وعدم شعوره لأسباب

(أ) تزيين الوسط الذي يعيش فيه

(ب) التأثير بهذا الوسط الذي يعيش فيه

(ج) المقارنة: - أي مقارنة الإنسان نفسه بمن هم دونه فيقول الحمد لله أنا أفضل من هؤلاء. حتى يهلك وهو يقول الحمد لله أنا أفضل هؤلاء. هذا المرض أخطر من السابق والإنسان في نفس الوقت يتراجع

(د) ظن بلوغ الكمال: - وهو أن يظن الإنسان نفسه أنه غير محتاج إلى تربية ولا محتاج تزكية والإنسان في نفس الوقت يتراجع. نجده ينشغل عن السنن والرواتب عن صلاة والوتر - الاستيقاظ لصلاة الفجر ويعتذر بأنه مشغول بأمور دينية من السهر مع الناس يعظم وغير ذلك في الأعذار الكثيرة جداً التي يشغل على الشيطان أن يقع الإنسان المصاب بهذا المرض. وهذا مرض عظيم فلأن ينجو الإنسان منه إلا أن يجد في بهزه هزاً عنيفاً ويوقظه مظاهر المرض وأعراضه

١- إهمال الإنسان لنفسه في دون تزكية ولا يهتم بهذه الأعراض يعني الإنسان تمر عليه الأيام والليالي وتمضي ولا يشعر الإنسان إلى أنه يحتاج إلى تزكية أن يجلس بين يوم وآخر مع كتاب الله عزو جل ويكون له الورد اليومي، ولا يكون له ورد في قيام الليل في المحافظة على السنن الرواتب ويجعلها في نفسه مثل الواجبات.

٢- عدم الوقوف بقوة أمام مغريات الحياة: - وحتى ينحل في أفراد في مغريات الحياة ويعتذر لنفسه بأي عذر من الأعذار

٣- عدم رعاية الآداب والمستحبات التي سنّها النبي صلى الله عليه وسلم: - يفرط فيها فالإنسان المسلم له حصون يتحصن بها من الشيطان وأول هذه الحصون التي تواجه الشيطان هي الآداب والمس فيدخل الشيطان مدخلاً منها في حال التقصير فيها إلى القلب فإذا تمكن منها انتقل إلى حصن الرواتب ثم إلى حصن الفروض فيجتاز هذا الحصن ويكسره حتى يجتاز إلى القلب إذن بداية المرض هو التقريط في الآداب والمستحبات لسنا ملزمين بها ولكنها معيار وهم للمستوى الإيمان لقلب كل إنسان منا.

٤- ترك العمل بالطاقة إلا فيما يوافق هوى الإنسان: - نجده مفرطاً في هذه المستحبات إلا إذا وافقت هواه سهله على قلبه.

٥- النقص الشديد في شعوره بالمحبة في الله ونظرته لإخوانه: -

أي البعد عن الصالحين. وفي الحديث " ما تواد اثنان في الله تعالى فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما. رواه البخاري في الأدب المقرر.

٦- شعور الإنسان بالثقل والمشقة الشديدة عند قيامه بالطاعات: - يعني أن هناك تغير قد حصل في القلب وهذه في خصال المنافقين.

٧- الرضا بوضع الإنسان وتلمس الأعذار – مثلاً يتأخر عن الصلاة يقول لأني مشغول- لأني كذا وكذا إلى آخر هذه الأعذار.

٨- انسياق الإنسان في عمل المكروهات التي ربما توصله إلى الوقوع في بعض الصغائر والمحرمات التي لا يتخيل أن يقع فيها في يوم من الأيام.

أسباب هذا المرض

١- تلبس الإنسان بمعصية في المعاصي وربما يسترها الله عليه ولكن لا يحسن التعامل مع نفسه بعد الوقوع بالمعصية: - المهم الدم الشديد والمسارة إلى عمل الحسنات " وإنَّ الحسنات يذهبن السيئات" وذلك باستفراغ المادة الفاسدة فتخرج المادة الفاسدة لوجود المادة الصالحة فينظف القلب أولاً في أثر المعصية في القلب قبل تطهير الجوارح منها فإذا لم يفعل ذلك ابتلاه الله بعقوبات منها: -

(أ) ييسر له السبيل في الوقوع في معصية أخرى بعد هذه المعصية.

(ب) يجعله يتغافل عن المعصية وينساها وهذه مصيبة من المصائب وهي أن يتذكر الإنسان حسناته وينسى سيئاته والمفروض العكس كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله " هداية الإنسان تقوم على ثلاثة أمور: -

١- مشاهدة منه الله ونعمة عليه التي لا تنقطع

٢- مطالعة جنائته وتقصيره

٣- مشاهدته ومطالعة الزيادة والنقصان في الأيام: - هل ازداد حسنات أم نقص في أيامه ولياله بقول الله تعالي " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير - سورة الشورى رقم (٣٠) إذن حتى التقصير في الأعمال الصالحة فبما كسبت أيدي الإنسان في الذنوب. ويقول رحمة الله

" ما نعلم أحد احفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب أحدثه ثم تلي هذه الآية وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير. ثم قال" وأي مصيبة أعظم من مصيبة نسيان القرآن. وسأل رجل الحسن البصري رحمه الله وقال يا أبا سعيد إني أبيت معافي أحب قيام الليل فما بالي لا أقوم قال" ذنوبك قيدتك. وقال الإمام سفيان الثوري رحمه الله " حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته سئل ما هذا الذنب قال رأيت رجل يبكي فقلت في نفسي، هذا مرء. يقول أبو الحسن بن القطان وهو أحد حفاظ الحديث وتكلم في آخر حياته أنه فقد بصره قال" وأظن أن هذا بسبب كثرة كلامي في رحلتي في طلب الحديث - ودخل بعض الناس على ذر بن وبرة فقال له أهلك بعض أهلك قال أشد قال وجع يؤلمك قال أشد قال وماذا قال بابي مغلق وستري مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته. وقال أبو سليمان الدراني رحمه الله.. "ما تقوت أحد صلاة الجماعة إلا بذنب. ويقول أحد العباد فيم لقلّة الغزالي رحمه الله في إحياء علوم الدين " كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة القرآن وإنّ العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلاً فيحرم بها قيام سنة وكما أن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهي عن الصلاة وسائر الخيرات. وبين الإمام ابن القيم رحمه الله في الجواب الطافي لماذا الوقوع في المعاصي يؤدي إلى التفريط في الأعمال الصالحة فيقول في الجواب الطافي في أثناء حديثه عن أسباب المعاص، قال ومنها حرمان الطاعة: فل لم يكن للذنوب عقوبة إلا أن يعد عن طاعته تكون بدله تقطع الطريق طاعة أخرى فينقطع عليه طريق ثالث ثم رابع وهلم خيراً فينقطع عليه بالذنوب طاعات كثيرة كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها " مثال" يقول هذا كرجل أكل أكله أو عجبت له مرضة طويلة منعت من عدة أكالات أطيب منها والله المستعان. والعلاج الصحيح للذنوب مثلاً إثبات نظرة

نظرة حرام أو اغتاب فالعلاج الفوري، أن يعمل عملاً صالحاً مقابل هذه السيئة لأن الإهمال للذنوب يؤدي إلى ذنوب كثيرة.

٢- التوسع في المباحات وخاصة المباحات الخمس التي ذكرها الإمام ابن القيم في كثير من كتبه وهي كثر الطعام والشراب وكثرة الكلام وكثرة النوم وكثرة الخلطة وركوب بحر التمني من قلبه حب الطاعات بمقدار حبه لهذه المباحات ولهذا نقل عن بعض الصوفية وهذا ما نقله الغزالي رحمه الله وكان بعض الشيوخ يقف على المائدة ويقول للمريدين " لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتتحسروا عند الموت كثيراً".

٣- عدم إدراك الإنسان للنعم وكيفية المحافظة عليها: -

قال الله تعالى وإن تعد نعمة الله لا تحصوها ((النحل ١٨)) وقوله تعالى " وأنعم عليكم نعمة ظاهرة وباطنة (لقمان ٢٠) وشكر النعم يكون بالمداولة على الطاعات. قال تعالى " فاذكروني أشكروني ولا تكفرون".

٤- غفلة الإنسان عن حاجته إلى الطاعات: - لأنه لا يستطيع أن يعيش بدونها. قال تعالى " وتزودوا فإن خير الزاد التقوى".... وقال " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين" سورة العنكبوت الآية ٦٩ ونزلت الآيات التي تحت على القيام في أول الدعوة في مكة " يا أيها المزمحل قم الليل إلا قليلاً" المزمحل رقم ١ " وتكلم عن هذه الآيات الامام ابن القيم وصاحب الظلال كلاماً جميلاً. وصح عن النبي ﷺ قوله " مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل المصباح يضيئ الناس، ويحرق نفسه " صحيح الجامع - ١١٣٣. إذن استطراد الطريق مع انقطاع الزاد لا يوصل إذن نحن نحتاج إلى الطاعات قال الله تعالى " وما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ز النساء ١٤٧. ومن ثمرات هذه الطاعات السكينة وراحة النفس التي يجدها الإنسان في كثير من الأحيان. قال الله تعالى " القدر رضي الله عن المؤمنين إذا يعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم " الفتح ١٨ " وقال تعالى " إنما المؤمنون الذين إذا ذكروا الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون" الأنفال "٢" فإذا قصرنا في هذه الطاعات تنغصت حياتنا.

٥- نسيان التصور الحقيقي لأجور الطاعات: - قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله " من لمح فجر الأجر هان عليه ظلام التكليف" ويقول الإمام ابن رجب رحمه الله " من لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال- ويقول الشيخ على الطنطاوي رحمه الله " قرأت لأكثر من سبعين سنة فما وجدت حكمة أجمل من أن مشقة الطاعات تذهب ويبقي ثوابها وأن لذة المعاصي، تذهب ويبقي عقابها.. ويقول الامام ابن القيم رحمه الله " مدارج السالكين شرائط التوبة" يقول " والمؤمن لا تتم له لذة بمعصية أبداً ولا يكمل بها فرحة بل لا يياشرها إلا والحزن مخالط لقلبه. ولهذا كان السلف عندهم إقبال شديد على الطاعات بسبب تذكر هذه الأجور وقد أفرد الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله في الزهد باب من أحب الدنيا عمل الطاعات.

٦- نسيان الإنسان وغفلته في كثير من الأوقات عن الموت وفي الآخرة وهذا في أعجب الأسباب: - قال رسول الله صلي عليه وسلم " أذكر الموت في صلاتك فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحري أن يحسن صلاته" وصل صلاة رجل لا ينتظر أن يصلي صلاة غيرها" حسن السلسلة الصحيحة وحديث " أكثروا ذكرها هاذم الذات: الموت فإنه لا يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه الله عليه وما ذكره في سعة إلا ضيقها عليه " حسن - صحيح الجامع وقال أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً واكسبهم أكثرهم للموت ذكراً " صحيح ابن ماجه رقم (٣٤٥٤) وأحسنهم له استعداداً أولئك الأكياس وقال في حديث البراء بن عازب رضي الله عنها "إخواني لمثل هذا اليوم فأعدوا" حسن -صحيح ابن ماجه رقم ٣٤٠٢

٧- وأن يعتبر الإنسان نفسه أنه وصل إلى طريق الكمال: -

يعني يرضي بواقعه: - وهذه بداية النهاية وأين هذا من فقه السلف. في هذا بداية النهاية وأين هذا من فقه السلف. في هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه " واسلبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن وتزينوا للعرض الأكبر وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا. وهذا ميون بن مهران يقول " ولا يكون العبد تقيا حتى يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه من أين مطعمه ومشربه. بعض العباد يقول " من ظن في نفسه الإخلاص احتاج إخلاصه إلى اخلاص".

٨- فمنهم من يسوف ساعات ومنهم من يسوف سنة أو سنتين ولهذا في قصة تولى عمر بن الخطاب أنه جاءه ابنه عبد الملك في وسط النهار فسأله فقال أبوه " أريد أن أنام أي القيلولة قال له ابنه " ومصالح بنو أمية من يرفعها لنا قال نرفعها بعد صلاة الظهر هذا في أول يوم قال الابن " ومن يضمن لك أن تعيش إلى صلاة الظهر.

٩- والله تعالى قد وصف المؤمنين أنهم يسارعون في الخيرات وحديث النبي صلى الله عليه وسلم " بادروا بالإعمال سبعا هل تنتظرون إلا فقرا منسياً أو غني مطغياً "ضعيف الترمذي" والصحيح البديل ما ورد في صحيح مسلم " بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافراً أو يمسي مؤمنا وصبح كافراً يبيع دينه بعرض في الدنيا: - ولهذا يقول عمر رضي الله عنه " القوة في ألا تؤجل عمل اليوم إلى الغد" فالتسوية يبدأ بتأخير الأمر المهم ثم الأقل أهمية إلى آخره قم يكون التسوية عندك يصبح أمراً عناداً. وحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه " واغتنم خمساً قبل خمس وحديث البخاري " إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل إذا كان صحيحاً مقيماً.

١٠- البيئة التي يعيش فيها الإنسان: - إذا كان الإنسان يعيش بين إخوة مهتمين بالقرآن. بالدروس فعلى أقل الأحوال يستحي، ثم يرزقه الله النية على العمل فإذا كانت البيئة قوية يقوي الإنسان والعكس بالعكس. ولسنا نتكلم في البيئة الفاسدة. وإذا عاش الإنسان في جو أناس يتأخرون عن الجماعة أو ما أحد يجلس في المسجد بعد الصلاة الفجر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله للإمام ابن القيم " هذه غدوتي إن لم أفلها خارت قواي. ابن جرير الطبري، كان إماماً في الفقه وفي الحديث وفي العقيدة وفي التفسير وفي التاريخ وكتبه كلها مبتكره فهو أول من تكلم في هذا الفن. ولما أراد أن يصنف كتاباً في التفسير قال لأصحابه " تنشطون لكتابة تفسير فيه أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة والتابعين فقالوا له في كم يكون هذا التفسير؟ قال بقدر ثلاثين ألف ورقة قالوا هذا العمل ينقضي العمر ولا ينقضي قال ضعفت الهمم. فهمك على قدر ما أهمل وخواطرك من جنس همك.

الآثار المترتبة على هذا المرض

١- البعد عن التوفيق والراحة: - القلق والاضطراب وفقد الطمأنينة والراحة التي كان يعيشها من قبل وتصبح الآراء غير مسرورة وهذل الجسم وهذل القلب فيعيش الإنسان بعيداً عن الراحة وتجده آراءه غير متزنة قال تعالى: ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً.. وهنا ارتباط السبب بالنتيجة السبب البعد ذكره الله فالنتيجة المعيشة الضنك في الدنيا قبل الآخرة.

٢- الفتور: - لأنه لم يتخذ الزاد القلب فيهلك ويموت كمن يذهب إلى صحراء دون طعام وشراب والسبب لم يحاسب الإنسان نفسه على ما فرط طوال العام.

٣- جراءة الإنسان على الوقوع في أعمال لم يقع من قبل: - وهي بالتدريج كما يقولون من جزاء الحسنة الحسنة وما بعدها ومن جزاء السيئة السيئة بعدها.

وقوله تعالى " وأقم الصلاة إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر إذن عدم أدائها الأداء الصحيح قوي إلى ارتكاب الفحشاء والمنكر. وأثر ابن عباس رضي الله عنه " من لم تنه صلواته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعدًا.

٤- **ضعف بدن الإنسان:** - السبب قد حدث في قلبه شيء أضعف البدن وكما يقول أحد الصالحين " إن قوة المؤمن في قلبه ليست في بدنه ألا ترون إلى الرجل عمره كذا وكذا سنة ثم يقوم الليل ويصوم النهار وتجد الشاب لا يقدر على ذلك. فصلاح القلب بسبب أعماله الصالحة فظهرت على البدن آثار القوة وكما قال هود عليه السلام " ويا قوم استغفروا ربكم وتوبوا إليه يرسل السماء عليكم مرارًا ويزدكم قوة إلى قوتكم " هود ٥٢

وحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما جاءت فاطمة للرسول ﷺ تطلب خادمًا فقال " لهما رسول الله ﷺ سبحوا مائة وثلاثة وثلاثين - حديث البخاري ح ٧ " والحديث القدسي " إن آدم إكفني أربع ركعات أول النهار أكفل آخره " صحيح الجامع ٤٣٣٩ "

مثلا صلي الضحى، ثم أترك يوم في الأيام تجد الضعف. والإمام ابن القيم رحمه الله جعل أول آثار المعاصي، قلة التوفيق ثم جعل الضعف الذي يصيب الانسان في بدنه - ابن تيمية كتب التدجيرية ما بين الظهر والعصر بتوفيق الله

٥- **ضعف التأثير في الناس وفقدان الهيبة:** -

حديث رسول الله ﷺ " الذي يوشك أن تتداعى عليكم الأمم وفي آخره ولينزعن الله في صدوركم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن قالوا يا رسول الله ما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت " صحيح ابن دارد رقم ٤٢٩٧ .

وفي الطرائف التي تذكر في حديث وهو حديث موضوع وهو من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار وقصته أن أحد المحدثين كان في مجلسه يحدث طلبته الأحاديث والسنن النبوية فدخل أحد الصالحين فراه وتعجب من هيئته وفي النور الذي وجهه فقطع الحديث وهو يشير إليه ويقول " من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار فظن بعض الطلبة أنه حديث. وهذا وكيع بن الجراح رحمه الله الإمام الماقت قال عنه الإمام أحمد بن حنبل " ما رأيت أفضل من وكيع وما رأيت أخشع من وكيع. مرة سافر إليه اثنان من الطلبة من أجل أن يسمعوا الحديث فجلسوا في مجلسه فلما دخل عليهم هيبة عظيمة وكان أحدهم يقول سبحان الله ما هذا؟ هذا ملك هذا كل من شدة النور الذي يروونه على وجهه.

العلاج

مقدمات قبل الحديث عن العلاج

يكفي ظهور عرض واحد من أعراض المرض لا كلها فنقول إن هذا الإنسان مصاب بهذا المرض مثلاً الأفرط في المباحات يؤدي إلى هذا المرض العلاج هو سد أسباب هذا المرض مثلاً التقريط في علاجه ترك هذا التقريط ولكن نريد أن نتوسع في ذكر النقاط التفصيلية لكيفية علاج السلف لهذا المرض وأن أي علاج لأي مرض من الأمراض سواء كان هذا المرض نفسي، أو جسدي أو بدني فإنه ينقسم إلى نوعين من العلاج الكبر والعجب والخيلاء. نقول هذا الكلام يحتاج إلى أن ننظر لهذه الآفات والأمراض وهذا الفقه مأخوذ من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه "كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركن" ((رواه البخاري (٣٦٠٦) مسلم (١٨٤٧)).

ولهذا قالوا " عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه - ومن لم يعرف الشر من الخير يقع فيه. ولكن لا نجعل همنا كله في معرفة الآفات فقط كما فعل الصوفية وكما يقول الإمام ابن القيم رحمه الله " وقفوا عند آفات النفوس، وأهملوا الوسوسة الشيطانية وركزوا فقط على جزء واحد من المرض وهو الآفات الشيطانية بشكل كبير جداً جداً وأهملوا جانب التخلق بالأخلاق الإسلامية لكن الإنسان يتعرف على هذه الآفات قدر استطاعته لكن العلاج الصحيح كيف يكون هو أن يسير سيرا صحيحاً في بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة التي تقوم على ثلاث ثوابت. وهذه الثوابت: -

(أ) الوقاية: بمعنى أن تسد كل باب يؤدي بك إلى الوقوع في هذا المرض قبل أن تقع فيه ولهذا يقولون الوقاية خير من العلاج وهذا النوع قلَّ من يفتن له لأنه في كثير من الأحيان لا ينتبهون إلى المرض إلا بعد الوقوع فيه ولا يحتاطون لأنفسهم قبل أن يقعوا في المرض وهذا كلام صحيح في الأمراض وبعد ظهور آثار المرض على الإنسان والعلاج يكون كما يقول أهل الطب وأهل الأمراض النفسية باستئصال المادة الفاسدة التي تسببت هذا المرض وإدخال المادة الصالحة التي تكون دواء لهذا المرض والصحيح أنه لا بد للإنسان أن يجمع بينهما دائماً الوقاية والعلاج بعد الوقوع فيه. وقد يسأل الإنسان إذن يلزمنا من أجل أن نطبق مفهوم الوقاية أن نتعرف على كل الأمراض لأننا لا يمكننا أن نقي أنفسنا من الأمراض النفسية القلب مثلاً لا يمكننا أن نقف على آفات القلب إلا إذا تعلمناها مثلاً نتعرف على مرض يتعامل الإنسان من خلالها مع كل متغير في المتغيرات التي يجدها ويعانيها أثناء حياته وتطراً عليه في كثير من الأمور إما في نفسه أو شبهة من الشيطان ويحاول الإنسان العلاج ولا يجدي مع هذا الداء شيئاً سواء في نفسه أو بيئته أو إخوانه متغيرات كثيرة لكن الشخصية الإسلامية تقوم على ثلاث ثوابت يجب أن نركز على أمر مهم وهو الشكوى إلى الله تعالى أو يتعاهد أن يذهب الإنسان إلى من يرجو نفعه وحكمته ويثبت إليه شكوته له ويعرج له بالمرض وهو لن يعالجك ولكن يعلمك بالدواء ويقول افعل كذا وكذا " مثال " شاب من الشباب فيه خير وصلاح اهتدى وسار على الطريق سنة سنتين لكن كان في نفسه حب شديد للكرة لدرجة أنه عاني في نفسه معاناة شديدة حتي بحجب عينه مشاهدة مباراة من المباريات وهذا كثير من الشباب أو تعلق بالغناء والمسلسلات وكان يحاول وهو صادق في ذلك إن شاء الله منه ضل الطريق وكان إذا علم بمباراة يحاول ألا يتفرج عليها وإذا مرض أمام التلفاز نجده ينازع نفسه منازعة شديدة من أجل أن ينقل نفسه بعيداً عن هذا المكان ولا يستطيع في كثير من الأحيان وفي أحيان يتغلب على نفسه ويتعد عن هذا التلفاز اعتمد في نفسه هذا الأمر سنين وهو لم يحسن العلاج ويستحي في الإفصاح لغيره عن هذه الآفة فنقول له أليس هذا أفضل أن نصح يوم القيامة ولا عيب أن تفرح لغيرك بهذا ولا تستحي في الإفصاح لغيرك عن هذا الأمر حتى يتم العلاج. والإمام ابن القيم رحمه الله ذكر أن العبادات التي يعبدها الناس لله تدور على ثلاثة أمور

(أ) عبادات قلبية (ب) عبادات قولية (ج) عبادات عملية

يقول فمن الناس عباداته العملية قوية لكنها ما وصلت إلى القوة التي تستطيع أن تتمثل مع أقوال الإنسان وأعماله وتقويتها يعني حب الله عز وجل قوي والرجل يبكي من خشية الله تعالى لكن هذه الخشية استطاعات أن تغير من واقعه. إذن جانب عباداته القلبية قوي لكنه لم يصل إلى القوة المناسبة التي تستطيع معه أن تغير عباداته القولية والعملية. بعض الناس عباداتهم القولية والعملية قوية لكن يجد في قلبه قسوة لكن ما أصلحت هذه العبادات القلب يصلى كثيراً لكن ما يجد في قلبه أثر هذه الصلاة. ويجب أن نركز على مثل هذه القضايا حتى نستطيع أن نعالج مثل هذه الأمور.

العلاج

١- معايشة كتاب الله وسنة نبيه المعاشة الصادقة الصالحة وتنزيل ذلك على القلب: - فإذا سمع آية يعلم ان ذلك نزل له هو ويعلم ما هو ثواب المخلصين وما هو جزاء الانسان الذي شغل في هذه الحياة الدنيا كذلك

ينزل الأحاديث ويعتقد في نفسه أن الرسول صلى الله عليه وسلم يخاطبه هو ولا يخاطب أي أحد آخر كذلك الآيات التي تتحدث عن صفات الله ينزلها على قلبه ويرى أثر ذلك في حياته مثل صفة العلم وينظر في نفسه أن هو المقصود بهذا الأمر وأن الله سبحانه سميع بصير ويعلم أن الله يسمعه ويصره ويراه فيخشى في الله عز وجل ونضرب مثلاً على ذلك بمحمد بن المنكدر رحمه الله قرأ مرة من المرات حتى وصل إلى هذه الآية " وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون " (الزمر ٤٧) تفكر هذه الآية وعرف أنه المخاطب وأن الإنسان كل الإنسان يوم القيامة صالح أو فاسد الكل يقول نفسي ، نفسي ، تذكر هذا المعنى فبكى فذهب أهله إلى صاحبه وهو أبو حازم رحمه الله قالوا فلان مازال يبكي منذ الليلة فذهب إليه وقال ماذا يبكيك قال قرأت هذه الآية " وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون " فبكى وأبكى أبا حازم رحمه الله ، فالإنسان يتدبر القرآن ويكون له قرائتان قراءة للثواب وقراءة للتدبر والعمل والتفكير والسف كان الواحد منهم من يردد الآية الواحدة طوال الليل.

٢- **التحرز من المعاصي لا سيما الصغائر ومحقرات الذنوب :-** يعرف أنه يؤتي من هذا الباب فيحاول سد هذا الباب قدر استطاعته مثلاً ما روى الترمذي بسند مجمع عن سلمة البياضي وهو الرجل الذي وقع على امرأته في نهار رمضان والحديث المتفق عليه جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقول هلكت - جامع زوجته حتى أذان الفجر ولا استطع أن فترع فأهلك يقول في مره كانت زوجتي في ثياب مهنتها فوقعت عليها مع حلفه الا يقربها في نهار رمضان ، اذن حتى الصحابة كان منهم من يبئلى بهذه الأمور وهي كالشهوة تلك شهوة حبه المال حب اليتيم وقد تقوى في شخص دون شخص فيحاول سد هذا الباب او يرى مثلاً صوراً في الجرائد او المجالات فيحاول الابتعاد وحديث إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن ليجمعن على رجل فيهلكه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلاً يقول كمثل أناس نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم يعني جاء وقت الطعام فجل الرجل يجئ بالعود حتى ينطلق فيجئ بالعود حتى دمعا سوادا فاحجوا ناراً وانضجوا ما قذفوا فيها ، ولذلك كان السلف يحذرون من هذه العقلية وهي قضية عدم الاهتمام بالصغائر ، كما قال ابن عباس رضي الله عنه " لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار " .

٣- التفكير في نعم الله واستمرارها ودوامها، ولذلك قالت ام الدرداء " كان أكثر عبادة ابو الدرداء التفكير .

٤- **تذكر الذنوب والآثام الماضية :-** وذلك يقوي في الإنسان جانب خشية الله والخوف من غضبه وهذا الامر يحث على المواظبة على الاعمال الصالحة وذلك يعين الإنسان على خشية الله عند سماع آيات النار وخشية الوقوع فيها فنجد سحرة فرعون قالوا " طه ٧٢ " لما قوى جانب تذكر هذه المعاصي التي فعلت لإرضاء فرعون انتقلت هذه الخشية لله عز وجل ، وهذا هو الذي حصل مع المرأة الغامدية جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم وقالت: زنيت فطهرني قال انتظري حتى تضعي جاءت بعد ان وضعت يعني مرت الأشهر الطويلة وما زالت تذكر الذنب الذي ارتكبته قال لها اذهبي حتى تقطمي ذهب و جاءت بعد سنتين ومعها شيء يأكله الصغير فأمر بجرمها وفعلاً كانت توبتها صادقة وكذلك ما عز نفسي هذا الامر .

واعظم الأفات التي تعترى ، التوبة ظنه أن هذه التوبة قد غفرت ذنوبه فينكل عليها ، من ضمن لك ذلك ، وفي الأمثلة الواقعة في حياة الصحابة من تذكرهم المعاصي والسيئات في ذلك قصة عائشة في البخاري ايضاً نذرت الا تكلم عبدالله بن الزبير فجاء عبدالله واتى ببعض أصحابه حتى يتوسل له عند عائشة رضي الله عنها وعائشة طيبة القلب قامت وسلمت عليه وقبلته ولكنها نذرت نذراً مطلقاً ولم تحدد وقت معين فكانت لذلك تتصدق دائماً وتعتق العبيد حتى ورد أنها اعتقت أربعين عبداً تكفيراً عن هذا النذر حتى انها لكما تذكرت هذا النذر بكت حتى تبلل خمارها ، وعمر بن الخطاب حصل منه في صلح الحديبية لما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله السنا على حق وهم على باطل فعلام نعطي الدانية في ديننا ، فكان يقول فعلمت لذلك اعمالاً (رواه مسلم ١٧٨) يعني لتكفير هذه المعاصي والسيئات - ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على

شاب وهو في موته فقال كيف تجدك فقال ارجو الله واخاف ذنوبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اجتماعا في عبد في هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو آمنه مما يخاف " صحيح الترمذي - حديث حسن رقم ٩٨٣ وقال بعضهم " ما فارق الخوف قلباً الا خرب ، وقال الامام ابن القيم رضي الله عنه " رب معصية اورثت ذلاً وانكساراً خيراً من طاعة اورثت عزاً واستكباراً ، إذن المعصية اذا اوضعت الخوف والذل والانكسار بين يدي الله سبحانه افضل طاعة اورثت العجب والاعتلاء .

٥- تذكر الموت :- ولهذا كان الصحابة في سباق في الاعمال الصالحة خشية الموت فقد يمرض ويموت او يموت فجأة فلا يستطيع العمل الصالحة ولهذا قالوا عن حديث حماد بن سلمة إذا قيل له ان القيامة ستقوم غداً ما قدر على الزيادة من الاعمال الصالحة مثل ما ورد عن صفوان بن سليم " لو قيل له أنك ستموت تمر ما قدر على الزيادة من الاعمال الصالحة ، ويحيى بن سعيد سيد الحفاظ وملك الحفاظ في علم الحديث مرة جاء الى باب احد المحدثين ليحدثه بما عنده من الحديث فبدأ بحديثه عن فلان بن فلان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يحيى لو كان في كتابك حديث ليأتي بالكتاب فامسك به يحيى قال له حدثني اولاً ثم ادخل واتي بكتابك فربما تدخل فتموت ، وهذا أبو جعفر الطبري وهو على فراش موته فدخل عليه رجل صالح ودعا له بدعاء اعجب أبا جعفر فنادى على الغلام وقال يا غلام هات المجرة والورق يريد أن يكتب هذا الدعاء قالوا وانت على فراش الموت قال لعل الله ينفعني به ، وهذا أبو يوسف وهو على فراش الموت زارة بعض أصحابه قال له أبو يوسف هل لك في مسألة قال له وأين لك من هذه المسألة قال لعل الله ينفعني بها فتحدثوا ان رجلاً في مسألة رمي الجمار ما هو الأفضل الرمي وهو ماشي او الرمي وهو راكب فتحدثوا المسألة وخرجوا من عنده بقول هذا الرجل ما خرجت من عنده إلا وسمعت اهله يبكون عليه .

سأل أحد الناس الامام بن حنبل وهو امام اهل السنة في زمانه وهو يحمل محبرته وكتبه وحذاءه تحت قدمه فقال له الى متى نتعلم العلم فقال له من المحبرة الى المقبرة، ولذلك فقد قيل له يا امام متى يجد المؤمن طعام الراحة قال عند اول قدم يضعها في الجنة أما طوال حياته فهو في جد واجتهاد.

٦- الحذر الشديد عند تعاطي المباحات: - والمباحات هي برزخ بين المكروه والحرام فيلوز بها الانسان وهي ليست من الحلال او الحرام فليحذرهما الانسان خاصة إذا كان في شبهه وروي عن السلف انهم كانوا يتركون سبعين باباً من الحلال مخافة الوقوع في باب واحد من الحرام

ن والامام ابن القيم رحمة الله ركز على ساقية مهمة وهي قطع العوائد من المأكول والمشرب حتى يعالج الانسان نفسه فيبعدها عن الشهوات لا لأننا نحرم الحلال لكن ليعود الانسان نفسه على قطع هذه الأمور المعتادة في حياته، مثلاً معتاد انه ينام ثمان ساعات طيب حتى في الأوقات المهمة مثل العشر الاواخر من رمضان يكون مثل ذلك في كل الأشياء المباحة فيعود الانسان نفسه على الإمساك متى أراد.

٧- التفكير في الاعمال الصالحة ودورها في تقريبه الى الله عز وجل وفي بقاء استمرار حياته قياماً بدين الله في نفسه اولاً في غيره ثانياً: - يعني الا يظن ان زيارة الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر هي فقط الاعمال الصالحة لا بد ان يكون له عمل صالح من قراءة القرآن - حتى صلاة - صدقة وغيرها .

٨- المجاهدة :- هذه الكلمة التي نسمع بها وكندناً ان لا نراها ، مسروق رحمة الله كان يقوم الليل حتى تظفر قدمها فإذا فطرت يشد عليها ويردد على نفسه ويقول أحيسب أصحاب محمد ان يسابقوننا الى الجنة ، يريد ان يصل الى مرتبة الصحابة - وكان بعض السلف يوازنون بعض التابعين بالصحابة منهم من يقول ان يفخر اهل المدينة بعبدهم بن عمر فنحن نفخر بعبدنا فلان وفلان ويقول الامام ابن القيم رحمة الله لولا صبر المضمرات على قلة العلف ما قيل لها سوابق ويقول كيف يرد الفارس الوصول الى نهاية السباق ولم يشد على فرسة ، ويقول في مدارج السالكين كلاماً طيباً عن درجة المجاهدة فليراجع كما قال النبي صلى الله

عليه وسلم الآن سلعة الله غالية ، الآن سلعة الله غالية ، الآن سلعة الله الجنة صحيح الترمذي ٢٤٥٠ فلا يظن انسان ان يدخل الجنة بسعر زهيد وثمن بخس قال الامام بن القيم رحمة الله فأول ما تراه الورد من الدنيا الشوك لكن فلتصبر هذه الورد على هذا الشوك قليلاً فوحدها بعد قليل سوف تثقل وتشم ولولا وجود هذا الشوك ما حميت ولجاء الناس وقطفوها فكذلك الانسان بدون هذه المجاهدات لا يقدر ان يصل الى ما يرجوه ويقول رحمة الله " ان شجرة الصنوبر تثمر في ثلاثين سنة لكن شجرة الدباء تثمر في أسبوعين فنقول شجرة الدباء ان الطريق التي قطعناها في ثلاثين سنة قطعناها في أسبوعين مفاخرة عليها ويقال لك شجرة ولي شجرة يقول فقالت لها الصنوبرة مهلا حتى تهب رياح الخريف ، الرياح القاسية فاثبتي تكوني مثلي ، فلا بد من الصبر على طول الطريق وعلى قلة الرفيق والامام ابن القيم رحمة الله ضرب الكثير من الأمثلة في كتابة الفوائد .

٩- ملازمة الصالحية أصحاب الهمم العالية: - وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم " خياركم إذا رؤوا ذكر الله " صحيح ابن ماجه، ولذلك ورد في السلف انهم وجدوا في قلوبهم قسوة ذهبوا الى بعض الصالحين وجالسوهم والمثال لابن القيم مع ابن تيمية كان إذا أحس ببعض الضيق وبعض اليأس من كثرة الأعداء ذهب وجلس مع شيخه فما هي الا كلمات وقد انطلق بقوة ليجاهد الأعداء .

١٠- اتهام النفس كثيراً بالتقصير وعدم الرضا وعدم الرضا عنها: - يقول الامام ابن القيم رحمة الله " ولا تظن بربك ظن سوء فان الله أولى بالجميل ولا تظن بنفسك قط خيراً - وكيف بظالم جان جهول - وقل يا نفس ماوى كل سوء - ايرجي الخير من ميت بخيل - وظن بنفسك السوء تجدها كذلك وخيرها كالمستقبل - وما بك من تقي فيها وخير - فتلك مواهب الرب الجليل - وليس بها ولا منها - ولكن من الرحمن فاشكر الدليل .

ويستعين الانسان بعد اتهام نفسه بالتقصير باللجوء الى الله والشكوى اليه ويقع كما كان يفعل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله مع منزلته الرفيعة كان يخرج كثيراً الى البادية ويعفر وجهه بالتراب ويقول يا معلم ابراهيم علمني ويا مفهم سليمان فهمني ويقول الامام ابن القيم رحمة الله في مدارج السالكين " وكان شيخ الإسلام يقول ما لي شيء ولا مني شيء ولا في شيء " وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت " انا المكدي وابن المكدي - هكذا كان ابي وجرا وكان اذ اثنى عليه في وجهه يقول والله انا الى الآن اجدد اسلاماً في كل مكان ما اسلمت بعد اسلاماً جيداً ويقول الامام ابن القيم وبعد الي في اخر عمرة قاعدة في التفسير بخطة وعلى ظهرها ابنت من خطة ونظمة يقول فيها " انا الفقير الى رب البريات - انا المسكين في مجموع حالاتي - انا الظلوم لنفسي ، وهي ظالمتي - والخير ان يأتي من عنده يأتي وكتب هذه الابيات بالفحم على القاعة التي كان يسبحون فيها لانه اخرج في اخر حياته الأوراق والاقلام - محمد بن زيد القيرواني رحمة الله مرة زارة بعض الصالحين وتحدثا ثم لما أراد هذا الرجل ان يخرج من عنده قال له الرجل يا أبا محمد ادع لي بقول فاستعبر أبو محمد رحمة الله أي نزل دمعات من عينيه وقال " إليه يصعد الكلام الطيب والعمل الصالح يرفعه فهبني دعوت لك فاين العمل الصالح الذي يرفع هذا الدعاء "سورة فاطر الآية ١٠"

١١- معرفة ان هذه الدينا موسم وسوق للتجارة بالحسنات و الأنسان فيها متزود ولم يتوقف عندها :- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " خيركم من طال عمره وحسن عمله" صحيح الترمذي ٢٣٢٩ وقال الامام ابن القيم رحمة الله " وقد اطلقت أيام الموسم فأسرعوا بالإبل لا تفتكم الوقفة ويقول في الفوائد " السنة شجرة والشهور فروعها والأيام اغصانها والساعات اوراقها والانفاس ثمرها فمن كانت انفاسه في طاعة فثمره شجرته طيبة ومن كانت انفاسه في معصية فثمرته حنظل وانما يكون الحصاد يوم المعاد فعند الحصاد يبين حلو الثمار مرها وضرب مثلاً ، رأته فأرة جملأ فأعجبها فاقترادته معها فلما وصلت الى جحرها وقف فنادها الجمل بلسان الحال وقال لها اما ان تتخذي داراً تليق بمحبوبك واما ان تتخذي محبوباً يليق بدارك ، وهكذا أيها المؤمن اما ان تتخذ رباً يليق بهذه العبادة وأما أن تتخذ عبادة تليق بربك قدر استطاعتك ، أبو حامد

الغزالي تكلم على حقيقة الدنيا وضرب امثلة رائعة على احسان المؤمن العمل في الدنيا في المجلد الثالث راجعه .

١٢ - النظر في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح: -

قال الإمام أحمد بن حنبل " صفوان بن سليم بذكره تنزل الرحمة" انظر في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم (صحيح البخاري ١٩٦٩).

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول " لو نادي منادي في أرض المحشر كلكم يدخل الجنة إلا واحد لظننت أني هو".